قراءة في تاريخ تطوّر اللهجات العربية القديمة
من خلال المصادر العربيّة القديمة

د. سهام مادن
-كلية العلوم الإسلامية – جامعة الجزائر–

لا شك أن الروايات التي جاءت عن العرب وامتلأت بها كتب اللغة والنحو والأدب والتاريخ والسير تمدّنا بروافد عديدة في موضوع اللهجات العربية، وذلك أن العلماء عندما قرروا جمع اللغة أخذوها عن العرب الذين لم تفسدهم الحضارة.

ولهذا ونحن نبحث في خصائص اللهجات العربيّة حاولنا الرجوع لمختلف المصادر، وخاصة البحث في الخصائص الدلالية دعانا إلى الرجوع إلى تراثنا العربي العريق؛ فتطرّقنا إلى مراحل التطوّر الدلالي للهجات العربيّة القديمة، ثم عرّجنا بعد ذلك إلى النماذج الدلالية للهجات العربيّة القديمة.

1 -مراحل التطوّر الدلالي للهجات العربيّة القديمة:

أ– التطوّر الدلالي من المحسوس إلى المجرّد:

يشرح أبو حاتم الرّازي في كتابه الزّينة تطوّر دلالة (غفر) من الطرف المحسوس إلى آفاق التجريد والإدراك العقلي والنفسي قائلا: " يقال: غَفور وغفَّار وغافِر، ثلاث لغات، وهي من المغْفِرة والمغفرة السَّتْر، كأنه يستر ذنوب العباد إذا رضى عنهم، فلا يكشفها للخلائق.

ويقال في الدعاء: اللَّهم تغمَّدني بمغفرتك، أي استُر ذنوبي. وأصله من غفرت الشيء إذا غَطيته. ويقال: ثَوْبٌ كثير الغَفْر، أي كثير الزِّئْبَر [1] إذا كان من خَزٍّ أو وَبَر أو صوف أو غيره، سُمِّي بذلك لأنه يستر النَّسْج بزئبرة. ويقال اضْمُمْ مَتَاعَكَ في وِعائِك واغْفِر مَتَاعَكَ في وِعائِك، وهما بمعنى واحد. ويقال: غَفر غَفْرًا [2]. ومنه يقال: اللهم غَفْرًا.

وقال الشاعر: لَيثٌ يَهَابُ الناسُ صَوْلَتَهُ جَمَعَ العِقبَ وأَحْسَنَ الغَفْرَا

وقال الكميت: في ظِلِّ مَن عَنَتِ الوُجُوهُ لَهُ مَلِكِ المُلُوك ومَالِكِ الغَفْرِ

ويُقال لجُنّة الرأس مِغْفَر، لأنه يُغَطّي الرأس ويستره.

فالغَفُور على وزن فَعُول، بمعنى من شأنه أن يفعل ذلك. ويقال: فلانٌ صَدُوقٌ اللّهجة أي من شأنه وعادته الصِّدق.[3]

بيَّن الرَّازي تطوّر لفظة (الغفور) من المعنى المحسوس إلى المعنى المجرّد، فيُقال ثوبٌ كثير الغَفْر، أي كثير الزِّئْبَر، وهو الثوب إذا كان من خزٍّ أو وَبر أو صوف أو غيره، و يُقال لجُنّة الرأس مِغْفَر، لأنه يغطّي الرأس ويستره، ثم انتقل مفهوم اللفظة من المعنى المحسوس إلى المعنى المجرّد ليصير دالاّعلى المغْفِرة وتعني السّتر، كأنه يستر ذنوب العباد إذا رضى عنهم، فلا يكشفها للخلائق.

وقد حلّل أحمد بن فارس في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة) مجموعة من الألفاظ الإسلامية، و بيَّن المنطلق الحسي لعدد منها و سنعرض ما جاء لديه قبل تناول ما أتى به النقاد الشّراح لنعقد الأسباب فيما بين العمل اللغوي العام واهتمامه بالظواهر الدلالية، والعمل النقدي فكلاهما يشكلان . في النظرة الكلية . نسيج القرن الرابع أدبا ولغة: "فالإسلام والمسلم إنما عرفت العرب

منه إسلام الشيء، ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر. أما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروا، وكان الأصل من نافقاء اليربوع، ولم يعرفوا في الفسق إلاّ قولهم: فسقت الرطبة، إذا خرجت من قشرها، وجاء الشرع بأن الفسق: الإفحاش في الخروج عن طاعة الله. عزّ وجلّ. وكذلك الزّكاة لم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية النماء، وزاد الشرع فيها مما لا وجه لإطالة الباب بذكره."[4]

ويورد ابن فارس هذه الأمثلة في سياق يضمّ مفردات أخرى كالصلاة والصوم والمؤمن، وهو يفسّرها على أنها مصطلحات تناظر معاني أخرى للألفاظ كما يكون شأن الكلمات الاصطلاحية في العلوم والفنون كالنحو والعروض والشعر، وفي هذا الصدد يقول ابن فارس: " ثمة اسمان لغوي وصناعي أو شرعي."[5]

رغم أنّ ابن فارس يجهر بعدائه للفلسفة، فالألفاظ يزاد في منطوقها شروط وصفات تجعل ما يصدق عليه التعريف يضيق إلى أن يختص بجانب محدد إضافة إلى نقله من الحيّز الحسي إلى المجال التجريدي باستخراج أوجه للشبه كما في (نافق و المنافقة) والنافقاء التي تتخفى وتستمر في أفعالها، فالمنافق إنما يبدي أشياء ويضمر ما يخالفها ويستعين على أغراضه الخفية بالتستر بعيدا عن الأعين.

ولقد قال ابن فارس في باب الأسماء التي تسمّى بها الأشخاص على المجاورة والسّبب ما يلي:" قال علماؤنا: العرب تُسَمِّي باسم الشيء إذا كان مُجَاورا له أو كان منه بسبب، وذلك قولُهم: التَيَمُّم لمسح الوجه من الصَّعيد، وإنما التَيمُّم الطَّلب والقصْد. يقال: تيمَّمْتك وتأمَّمْتك أي تَعَمَّدتك. ومن ذلك تسميتهم السَّحاب سماء والمطر سماء، وتجاوَزوا ذلك إلى أن سمّوا النَّبْتَ سماءً..."[6]

من خلال هذا التعريف نستشف ما يلي:

- التَّيمُّم في أصله الطَّلب و القَصْد.
- التَيمَّم مسح الوجه من الصَّعيد.

ولو عدنا إلى تعريف اللفظة لغة فهي كما قال الفيروز آبادي: " يم ماء بنجد، والسمامة: بلاد الجوّ في وسط الشرق عن مكة، و اليمة موضع، وبنو يَمَّ بطن.[7]

وهذا يدلُّ على أنّ العرب قديما عرفت مواضع المياه، ومن ثمَّ يكون: (التّيمّم) هو طلب الماء والسفر إليه، وبعد ذلك عمَّ المعنى فغدت الدلالة شاملة كل قصد و طلب.

ونواصل الحديث عن تطوّر الدلالة الحسية إلى الدلالة المجردة الذهنية مستشهدين ببيت للمتنبي:

و قتلنَ دفراً و الدُّهيم فما ترى

أمَّ الدهيم و أمَّ دَفَرٍ هابل.

فهو يقول: " أما الدهم فمن أسماء الداهية، والأصل في ذلك أن ناقة كانت لبعض الملوك تسمي الدهيم، فقتلَ قوماً وبعث برؤوسهم عليها في غرارة، فلما جاءت قالوا: عليها بيض نعام، فقال الرسول انظروا عما يفرخ البيض، فلما نظر إلى رؤوس أولاده قال:

و عند الدهيم لو أحلّ عقالها

فتصعد لم تعدم من الجن حاديا

ثم كثر تشاورهم بهذا الإسم حتى جعلوا الداهية دهيما [8]. " ولقد روى ابن جني القصة معللاً التّطور الذي خضعت له الكلمة في شرحه (الفسر) بشكل مختصر.[9]

وإنّ تراثنا لحافل بهذه النماذج التي تبيّن التطوّر الدلالي للهجات العربيّة القديمة، فهذا ابن الأنباري مثلا يحلّل بيت عمرو بن كلثوم:

تريكَ إذا دخلتَ على خلاءٍ

و قد أمنتُ عيونَ الكاشحينا

" فالكاشحون: هم الأعداء واحدهم كاشح، إنما قيل له كاشح لأنه يعرض عنك ويوليك كشحه، والكشح والخصر والقرب واحد وهو مايلي الخاصرة، وقال آخرون: إنما قيل للعدو كاشح لأنه يضمر العداوة في كشحه، ويؤكد هذا الرأي ابن النحاس في شرحه[10] وقالوا إنما خص الكشح لأن الكبد فيه فيراد أن العداوة في الكبد، ولذلك يقال عدو أسود الكبد أي شديد العداوة قد أحرقت كبده.[11]

" شطَّت داره إذا بعدت"[12]، وإنّنا إذا رجعنا إلى القاموس المحيط وجدنا أنّ (الشط) شاطئ النهر جمع شطوط. وشطان، والشط بلدة باليمامة، وأشط في المفازة ذهب؛ وهذا يرجح أنّ الرمز اللغوي انصرف في البدء إلى المحسوسات، فسواحل البحر والأنهار بعيدة عن قلب الجزيرة وأواسطها، والرحلة إليها بعيدة حتى لتقترن بالهلاك (المفازة) لكثرة احتمالات الضياع في السفر البعيد.

ويمكننا تصنيف مراحل الدلالة كالتالي:

1. الشط آخر مكان للإنسان قبل الخوض في الماء.

2. بيته على الشاطىء. الشط وقد شط أي بعد.

3. الشطط: الإيغال في التصرفات والأحكام (المعنى الذهني).

وفي رواية لبيت عمرو بن كلثوم:

بأي مشيئة عمرو بن هندٍ

تطيع بنا الوشاه و تزدرينا

ينتهي البيت بكلمة (يزدهينا) في رواية فيشرح ابن النحاس المعنى السياقي: زهى فلان علينا، وازدهى بنا إذا تكبر علينا، ويقال: "زهاه الله أي جعله متكبرا"، ثم يروي عن الأصمعي أنه يقال: " أزهى النخل إذا ظهرت صفرة ثمره، و حمرته. و لا يعرف زها النخل بغير ألف ". وذكر غير الأصمعي: " زهى البسر إذا احمرّ أو اصفرّ."[13]

ففي هذه الحالة انتقل مدلول اللفظة (وهو الجمال والعلوّ) من الدلالة الحسية إلى الدلالة الذهنية: الخيلاء والتكبرّ.

وحوصلة القول أنّنا نلاحظ أنّ اللفظة قد مرّت بمراحل، فانتقلت من المجال الحسّي إلى المجال الذهني المجرد.

ب- التطوّر الدلالي بالتخصيص و بالتوسع:

تخصّص دلالة (الفراني) بنوع من أنواع الحلوى التي تصنع في الفرن، وكان يمكن للكلمة أن تدلّ على كلّ ما يخبز في هذا الفرن. يقول الخوارزمي في (المفاتيح): " الأُطْرِية على وزن الأُكْسِية من طعام أهل الشام ولا واحد له هكذا قال الخليل وقال بعضهم بكسره على بناء زِبْنِيَةٍ: الفَرانِيّ جمع فُرنِيّ قال الخليل هي خبزة غليظَة مشكّلة مصعنبة تشوى ثم تروى لبنا وسمنا وسكرا وهو منسوب إلى الفرن وهو تنُّور ضخم يخبز فيه."[14].

ومن شواهد التوسّع الدلالي عند صاحب الزينة كلمةِ (اللوح)، حيث قال: " قال بعض أهل المعرفة: سمى اللَّوْح الذي يكتب فيه لَوْحًا، لأنهم كانوا يكتبون في العِظام، كعَظْم الكتف وغير ذلك. فكل عظم كتبوا فيه سمَّوه لوحا. ثم قيل لكل ما يُكتَب فيه من الخشب لوحا، لانه نُحِت على تلك الهيئة. واللوح العَظْم.

يقال: رجل عظيم الألواح، إذا كان كبيرا عظيم اليدين والرجلين. وكل عظم يُسَمَّى لوحا. قال الجَعْدي: ولَوْحَى ذِراعَيْن في بِرَكَةٍ[15] إلى جُؤْجُؤ رَهِلِ المنكِب لَوْحَى ذراعين يعني عَظْم الذراعين.

وسمّيت ألواح السفينة ألواحا، لأنها نُحِتت على هيئة الألواح التي يُكتَب فيها. قال الله عزّ وجلّ: "وحَمَلْنَاهُ على ذَاتِ ألواحٍ و دُسُرٍ ."[16] ، فلفظة (اللوح) في الأصل تدلّ على نوع من المواد التي يكتب عليها، ثم عمّمت على سائر الوسائل الأخرى، فانتقلت من الدلالة على وسيلة الكتابة إلى بناء السفن و أشكال الأخشاب.

إنّ الأمثلة كثيرة في هذا المجال حيث اتّسعت الدلالات، و لقد تطرّق ابن فارس، والخطابي في كتابه إعجاز القرآن، و الآمدي، و المرزباني و غيرهم؛ قال ابن فارس في باب القول في أصول أسماء قيس عليها و أُلحق بها غيرها: " كان الأصمعي يقول: أصل الوِرْد إتيان الماء، ثم صار إتيان كلّ شيء و ردا. و القَرَب طَلَبُ الماء، ثم صار يُقال ذلك لكل طلب فيقال:هو يَقْرَبُ كذا أي يَطْلبه، و لا تَقْرَبْ كذا. و يقولون: رَفَع عقيرته أي صوته. وأصل ذلك أنّ رجلا عُقِرَت رجلُه فرفعها و جعل يصيح بأعلى صوته، فقيل بَعد ذلك لكُلِّ من رفع صوته: رفع عقيرته ويقولون: بينها مَسَافَة، و أصلُه من السَّوْف وهو الشم. ومثل هذا كثير."[17]

من خلال هذه الأمثلة نلاحظ تطوّرا دلاليا لهذه المفردات:

- أصل الورد إتيان الورد، ثم توسّع مدلوله و صار كل شيء وردا.
- أصل القرب طلب الماء، ثم صار يطلق لكل طلب.
- أصل العقيرة أنّ رجلا عقرت رجله فرفعها، وجعل يصيح بأعلى صوته، ثم صار مدلول العقيرة يطلق على كل من رفع صوته.

و من الاتّساع في الدلالة أن (الوغَى) يدل على الصوت و الجلبة في الحرب، ثم عمّ ليدل على الحرب نفسها، قال المتنبي:

و لوكان يوم وغىً قائما

للباه سيفي و الأشقر

فالوغى: الحرب، و أصله الصوت."[18].

وابن الأنباري يحلّل كلمة (غانية) ويبيّن أصلها المحدّد، ثمّ تطورها بالاتّساع في قول عنترة:

و حليلِ غانية تركتُ مجدلاً

تمكو فريصتهُ و كشدق الأعلم

وأصل الغانية: ذات الزوج، أي المستغنية بزوجها، ثم قيل للشابة (غانية) ذات زوج كانت أو غير ذات زوج، قال يعقوب أنشد أبو عبيدة:

أزمانُ ليلى كعابٌ غير غانية

و أنت أمرد معروفٌ لك الغزل

و أنشد ابن الأعرابي:

أحبّ الأيامى إذ بثينة أيم

و أحببت لَمَّا أن غنيت الغوانيا[19]

وثمة لفظ آخر تطوّر من المحدود إلى المتّسع و الأكثر عموما فالخربات هي الأفعال القبيحة عامة، وقد كان لها أصل بصورة اشتقاقية أخرى (خارب) تدلّ على السرقة، ويقول ابن الأنباري حول بيت لعمرو بن كلثوم: " الخربات الجنايات و ما لا خَير فيه ".

يقال رجل خارب، و قوم خراب، قال الطوسي الخربة الفعلة القبيحة. وقال أحمد بن عبيد: الخربة الفعلة الردية " أصل الخارب: اللص"[20] ويتحدّث ابن النحاس عن أصلٍ وتفريع عليه بالاتّساع حول بيت الأعشى:

قالوا ثماد فبطن الخال جارهما

و العسجدية فالأبواء فالرجل

" فالثماد جمع ثمد، قال الأصمعي: الثمد وإن كان يستعمل لكل شيء قليل، فإن أصله أن تكثر الأمطار فيحقن الماء تحت الرمل فإذا كشف ظهر. ويقال مثمود إذا كان مقترا عليه الرزق، وإذا وصف القوم بأنهم في حرب شديدة قيل: تركناهم يمضون الثمد، ويقال: إن الإثمد من هذا لقلة ما يؤخذ منه وسرعة نصوله."[21]

فلفظة (ثمد) كان مدلولها محصورا في حالة مادية و هي ما تبقى من ماء الأمطار في الرّمل، ثم اتّسعت لتدلّ على مجالات حسية عدّة منها: القلة بسبب الحرب، و الإثمد الذي هو ذَر نؤور قليل ليخلف نقوش الوشم، و إنّ في عملية الوشم ذاتها تشابها إذ يذر القليل من النؤور ليختلط بالدم في خطوط الرسم على ظاهر اليد أو الذراع أو الوجه، وبالتالي تتسع لتدلّ على كل شيء قليل؛ و الأمثلة كثيرة تبيّن توسع دلالة اللفظة.

جـ- التّطور الدلالي بالنقل من مجال إلى آخر:

ترتبط هذه الألفاظ بالإستعارة و معنى التشبيه، لأنّ نقل اللفظ دالاً من مجال إلى آخر إنما يستند إلى مسوّغات التشبيه، وعلى ذلك نستشهد بما قاله الخوارزمي: " ... الحجرة هي الحلقة المحيطة بالصفائح الملصقة بالصفيحة السفلى وقد تكون مقسومة بثلاثمائة وستين قسما، الأمّ هي الصفيحة السفلى. العنكبوت هي الشبكة التي عليها البروج والعظام من الكواكب الثابتة. منطقة البروج في العنكبوت هي المقسومة بدرج البروج. المِقْنَطَرات هي الخطوط المقوَّسة المتضايقة المرسومَ فيما بينها أعداد درج الارتفاع في الصفيحة و فوقها يجري العنكبوت. الفَرس هو قطعة شبيهة بصورة الفرس يشد بها العنكبوت على الصفائح. الكرة معروفة من آلات المنجّمين وبها تعرف هيئة الفلك وصورة الكواكب وتسمى أيضا البيضة."[22]

ما يمكننا قوله أنّ هذه بعض آلات المنجنيق، و إن الكلمة هنا تدلّ على معناها الأصلي، بالإضافة إلى دلالتها على معان أخرى تفهم من السياق؛ و يُظهر لنا الخوارزمي الرابط التشبيهي في مصطلح (الفَرَس)، لأنّ هذه القطعة في آلة الاصطرلاب [23] تشبه في شكلها الحيوان الذي يحمل الاسم نفسه (الفرس)، ويؤكد لنا الخوارزمي هذه الظاهرة الدلالية التّطورية في عدد من اصطلاحات علم التشريح، ذلك أنّ: " طبقات العين سميت بالأشياء التي تشبهها كالمِشِيمة شبهت بالمشيمة و هي التي فيها الولد في البطن والشَبَكية شُبهت بالشَبْكة، والعنكبوتية شبّهت بنسيج العنكبوت، والقَرْنيّة شبهت بالقرن في صلابته.[24]

ويذهب الخوارزمي إلى الحديث عن جزء آخر من الجسم البشري و هو (الأعور) في قوله:" الأعور معي على هيئة الكيس و سمي الأعور لأنه لا منفذ له و يُسَمَّى المِرْغَة."[25]

ويسرد الخوارزمي مصطلحات العروض و القافية و معها أصولها اللغوية التي أخذت منها على نحو من التشبيه في قوله: " القافية الكلمة الأخيرة من البيت. الروي الحرف الذي تبنى عليه القصيدة من القافية مثل الميم من قوله: عفتِ الديار محلُّها فمقامُها. الوصل حرف بعد الروى واو أو ألف أو ياء أو هاء مثل الهاء في فمقامها."[26]

إنّ التطوّر الدلالي للألفاظ قد وضّحه أيضا ابن ناقيا البغدادي [27] ،و الخوارزمي الذي قدّم توضيحا لانتقال الألفاظ من الدلالة على معنى إلى معنى آخر، و على هذا الأساس قال في بداية مؤلفه:" ولفظة الفك فإنها عند أصحاب اللغة والفقهاء مصدر فكّ الأسير أو الرهن أو الرقبة، وأحد الفكين وهما اللحيان، وعند أصحاب العَروض إخراج جنس من الشعر من جنس آخر تجمعهما دائرة، و عند الكتَّاب تصحيح اسم المرتزق في الجريدة بعد أن كان وضع عنها: و لفظة الوَتَد عند اللغويين و المفسرين أحد أوتاد البيت أو الجبل من قوله تعالى:(وَالجِبَالَ أَوْتَادًا) [28] و عند أصحاب العَرُوض ثلاثة أحرف اثنان متحركان وثالث ساكن، وعند المنجّمين أحد الأوتاد الأربعة التي هي الطالع والغرب ووسط السماء ووتد الأرض."[29]

على ضوء ما تقدّم نستشف مايلي:

إن لفظة الفك تدلّ على المعاني الآتية:

- تدلّ عند اللغويّين و الفقهاء على مصدر فكّ الأسير أو فكّ الرهن، أو الرقبة، و تدلّ أيضا على أحد الفكين وهما اللحيان.
- تدلّ عند أصحاب العروض على إخراج جنس من الشعر من جنس آخر تجمعهما دائرة.
- تدلّ عند الكتّاب على تصحيح اسم المرتزق في الجريدة.

فاللفظة الواحدة تدلّ على معاني مختلفة، كلفظة الوَتد التي أشار إليها الخوارزمي، نلخّصها فيما يلي:

- تدلّ عند اللغويين و المفسرين على أحد أوتاد البيت أو الجبل من قوله تعالى:(وَالجِبَالَ أَوْتَادًا)[30].
- تدلّ عند أهل العروض على ثلاثة أحرف اثنان متحركان و ثالث ساكن.
- تدلّ عند المنجّمين على أحد الأوتاد الأربعة التي هي الطالع و الغارب و وسط السماء ووتد الأرض.

وفي بيت آخر لامرىء القيس تثير لفظة (أنابيش) تحليلا يظهر استخداما تنتقل فيه الدلالة من مجال إلى آخر:

كأن السباع فيه غرقى عشية

بأرجائه القصوى أنابيشُ عنصلِ

" فالأنابيش هي العروق، و إنما سميت أنابيش لأنهاتنبش، أي تخرج من تحت الأرض " و هناك استعمال في أعمال الحرب لفعل مشتق من الأصل فيقال " نبشه بالنبل أي غرزه فيه "[31] وبهذا يكشف محيطا دلاليا مغايرا لما كان فيه اللفظ قبل.

ومن بيت لعمرو بن كلثوم يستخرج ابن الأنباري مادة (كتب):

ألما تعرفوا منا و منكم

كتائب يطَّعنَّ و يرتمينا

فإنه " يقال كتبت الكتائب أكتبه كتبا، وإنما سمي الكاتب كاتبا لأنه يضم بعض الحروف إلى بعض من قولهم كتبت القربة، إذا ضممت منها خرزاً إلى خرز. قال ذو الرمة:

وَفْراء غرفيه أثأى خوارزها

مشلشل ضيّعته بينها الكتب[32]

وهذا مثال لغلبة الدلالة المنتقل إليها فقد استقر مفهوم (الكتابة) للكلمات و امَّحى ذاك المعنى الأول من الاستخدام، أو كاد أن يمّحى.

بعد تعرضنا لمراحل التطوّر الدلالي نستشف أنّ اللفظة في تطوّرها قد مرّت بمراحل ثلاث هي:

- من المحسوس إلى المجرّد.
- من التخصيص إلى التوسّع.
- من الانتقال من مجال لآخر.

2- النماذج الدلالية للهجات العربيّة القديمة:

فإنّ هذا التطوّر الدلالي يمتدّ من القرن الثالث الهجري إلى سائر القرون التالية، حيث بدأت اللفظة تتطوّر شيئا فشيئا، فخرجت من مفهوم واحد للدلالة على مفاهيم متعدّدة، وهذا ما أثبتته الدراسات المختلفة، فكتب الأدب والنقد قد تعرّضت للموضوع كما وضّحنا، وكذلك المعاجم اللغوية، وعلى رأسها لسان العرب لابن منظور، الذي قدّم نماذج مختلفة في ذلك، سنوضّحها فيما يلي:

1- قال شمر الأثْلَبُ بلغة أهل الحجاز الحجر، و بلغة بني تميم التراب. [33]

وهذا يدخل ضمن ما يسمّى بالترادف.

2- أتاني حِساب من الناس أي جماعة كثيرة و هي لغة هذيل[34]. وهذا ترادف أيضا.

3- تَحَسّبَ الخبرَ استخبر عنه حجازية. [35]وهذا ترادف.

4- الشّاعبان المنكبان لتباعدهما يمانية. [36]وهذا ترادف.

5- العُرُب جمع عَروب وهي المرأة الحسناء المتحببة إلى زوجها. وقيل هي الشَّكِلات بلغة أهل مكة والمغنوجات بلغة أهل المدينة. [37]وهذا ترادف أيضا.

6- قيل لصفية بنت عبد المطلب وضربتَ الزبيرَ: لم تضربينه؟ فقالت ليلَبَّ ويقودَ الجيش ذا الجلَب أي يصير ذا لبّ. قال ابن الأثير هذه لغة أهل الحجاز وأهل نجد يقولون لَبّ يلِبّ بوزن فرّ يفِرّ.[38] وهذا تضاد.

7- الوثب القعود بلغة حمير يقال ثِبْ أي اقعُدْ، ودخل رجل من العرب على ملك من ملوك حمير فقال له الملك ثِبْ أي اقعد فوثب فتكسّر. فقال الملك ليس عندنا عربيَّتْ من دخل ظفار حمّر أي تكلم بالحميرية.

وقوله عربيّت يريد العربية فوقف على الهاء بالتاء و كذلك لغتهم. و رواه بعضهم ليس عندنا عربية كعربيتهم، قال ابن سيده و هو الصواب عندى لأن الملك لم يكن ليخرج نفسه من العرب و الفعل كالفعل. و الوثابُ الفراش بلغتهم، و يقال وثبتُه وثابا أي فرشت له فراشا والوثوب في غير لغة حمير النهوض و القيام، و الموثبَان بلغتهم الملك الذي يقعد و يلزم السرير ولا يغزو.[39] وهذا ترادف؛ فوثب بمعنى قعد، غير أنّ الأولى لغة حمير.

8- اليَلَبُ الدروع يمانية[40]. و هذا ترادف.

9- البُرْت والبَرْت الفأس يمانية. والبُرْت بلغة اليمن السَّكَّر الطَّبْرَزَدُ.[41] و هذا ترادف.

10- الحَلِيتُ الجلي و الصقيع بلغة طيء.[42] و هذا ترادف.

11- الأعفتُ في بعض اللغات الأعسر قيل هي لغة تميم و الألفتُ أيضا الأعسرُ.[43] وهذا ترادف.

12- طحثه يطحَثُه طحثا ضربه بكفه يمانية.[44] وهذا ترادف أيضا.

13- و يقال الجُّ و السيف بلغة طيء. و قال شمر قال بعضهم اللُّج السيف بلغة هذيل وطوائف من اليمن.[45] وهذا ترادف.

14- تَنغَّجتِ الأرنب اقشعرت يمانية.[46] و هذا ترادف أيضا.

15- الوَيْجُ خشبة الفدّان عُمانيّة.[47] ترادف.

16- و قال اللحياني زعم الكسائي أنه سمع رجلا من بني عامر يقول: إذا قيل لنا أَبَقِيَ عندكم شيء؟ قلنا بَجْبَاحِ أي لم يبق.[48] و هذا ترادف أيضا.

17- والسِّرحان (الذئب المشهور)، والسيِّد الأسد بلغة هذيل.[49] وهذا يدخل ضمن الترادف.

18- الشَّلْحَاء السيف بلغة أهل الشَّحْر و هي بأقصى اليمن.[50] و هذا ترادف.

19- الزَّخِيخ النار يمانية.[51] و هذا ترادف.

20- البَلَدُ الدار يمانية.[52] و هذا ترادف أيضا.

21- السُّمُودُ الغِناء بلغة حمير، يقال اسمُدِي لنا أي غَنِّي لنا.[53] و هذا ترادف.

22- القراميد في كلام أهل الشام آجُرّ الحمامات و قيل هي بالرومية قِرْميدَى[54]. وهذا ترادف.

23- البَظْر الخاتِم حميري وجمعه بظور.[55] وهذا ترادف.

24- شَحَر فاهُ شحْراص فتحه قال ابن دريد أحسبها يمانية.[56] وهذا ترادف.

25- الشُّرْشُور طائر صغير مثل العصفور قال الأصمعي تسميه أهل الحجاز الشرشور وتسميه الأعراب البِرْقش. [57]وهذا ترادف أيضا.

26- ورجل مُنَغَطْرِس بخيل في كلام هذيل. [58]وهذا ترادف.

27- وقال المؤرّخ هي المعيشة قال والمعُوشة لغة الأزد. [59]وهذا ترادف.

28- وأهل الشام يسمون الخمر الرَّساطثون وسائر العرب لا يعرفونه قال و أراها روميّة دخلت في كلام من جاورهم من أهل الشام ومنهم من يقلب السين شيئا فيقول رشاطون. [60]وهذا ترادف.

29- الصُّنْتُعث الشاب الشديد، و حمار صُنْتُع صُلْبُ الرأس ناتىء الحاجبين عريض الجبهة، والصنتع عند أهل اليمن الذئب عن كراع[61] ، وهذا يدخل ضمن الاشتراك اللفظي.

30- رَضَفْتُ الوسادة ثَنَيْتُهَا يمانية. [62]وهذا ترادف.

ولو تتّبعنا ابن منظور في لسان العرب لوجدنا أمثلة أخرى وهي كثيرة، ذكرنا بعضها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر؛ وهذا إن دلّ على شيء إنما يدلّ على أنّ الاختلاف اللهجي أدّى إلى ظهور ما يسمّى بالترادف، و التضاد، و الاشتراك، و تعتبر المعاجم اللغوية مصدرا أساسيّا لدراسة اللهجات العربيّة القديمة، بالإضافة إلى كتب النقد و الأدب، لأن الأدب مرآة عصره و ديوان العرب، و تعدّ الأمثال العربيّة جزءا لا يتجزأ من هذا الأدب، و سنذكر بعضها لتوضيح ذلك:

1. قولهم " أتى عليهم ذو أتى"[63] فهذا مثل من كلام طيء، و (ذو) في لغتهم تكون بمعنى الذي، يقولون " نحن ذو فعلنا كذا "، أي " نحن الذين فعلنا كذا "، ومعنى المثل: " أتى عليهم الذي أتى على الخلق". ف: ذو مرادفه الذي.

2. قولهم: " جزاء سِنمّار"[64] و السنمار في لغة هذيل: " اللص "، و ذلك أنهم يقولون للذي لا ينام الليل سنماراً، فسمى اللص به لقلة نومه. فالسنمار مرادف لـ (اللص).

3. و قالوا " حب إلى عبد محكده"[65] المحكد: الأصل، و هي لغة عقيل، و أما كلاب فيقولون " محقد " يضرب لمن يحرص على ما يشينه، فالمحكد: الأصل و هذا ترادف في اللجات.

4. و قالوا: " لأضمنّك ضم الشّناتر "[66]. قال أهل اللغة: هي لغة يمانية . و هي الأصابع . و ذو شناتر: ملك من ملوك اليمن، كما روى ابن فارس [67]أن الأصابع في لغة حمير هي الشناتر.

الشّناتر لغة يمانية و هي الأصابع، و ذو شناتر: ملك من ملوك اليمن.

فإنّ هذه الأمثال و غيرها تقدّم لنا صورة عن خصائص اللهجات العربيّة، وإنّ دراسة اللهجات العربيّة القديمة موضوع شاسع و شائك، و على وجه الخصوص تحديد خصائص اللهجات يتطلّب منّا الرجوع إلى تراثنا العربيّ الأصيل.

الهوامش :

[1] الزِّئبر: بالكسر مهموز ما يعلو الثوب الجديد مثل ما يعلو الخز، ارجع للرّازي أبو حاتم، الزِّينة في الكلمات الإسلاميّة العربيّة، تعليق حسين الهَمَذَاني،، القاهرة، 1957م، ط 2، ج2، ص 97-98.

[2] غفر بالكسر لغة فيه. الغفر و الغفر بالتحريك التغطية، ارجع للرازي، الزينة، ج 2، ص 97-98.

[3] الرَّازي، الزِّينة في الكلمات الإسلامية العربيّة، ج 2، ص 97-98.

[4] ابن فارس أحمد. الصَّاحبي في فقه اللّغة و سنن العَرَب في كلامها. تحقيق و تقديم: مصطفى الشُّويمي. مكتبة أ. بدران.بيروت. لبنان. 1382 هـ - 1963م. ص 81.

5 ابن فارس. الصّاحبي. ص 81.

[6]ابن فارس. الصَّاحبي. ص 94–95.

[7] يحدِّثنا القلقشندي أن الأنساب ست طبقات:

الطبقة الأولى: الشعب، و هو النسب الأبعد كعدنان.

الطبقة الثانية: القبيلة، و هي ما انقسم فيها الشعب: كربيعة و مضر

الطبقة الثالثة: العمارة، و هي ما انقسم فيه أقسام القبيلة كقريش أو كنانة.

الطبقة الرابعة: البطن، و هو ما انقسم فيه أقسام العمارة كبني عبد مناف.

الطبقة الخامسة: الفخذ، و هو ما انقسم فيه أقسام البطن.

الطبقة السادسة: الفصيلة، و هي ما انقسم فيه أقسام الفخذ، كبني العباس.

ارجع لـ: القلقشندي. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب. تحقيق الأبياري، الطبعة الأولى، القاهرة، 1959م، ص 13.

[8] الفيروز آبادي. القاموس المحيط، مؤسسة الحلبي بالقاهرة، ج 4، ص 193–194.

[9] الحاتمي أبو علي. الرسالة الموضحة، تحقيق محمد يوسف نجم، صادر. بيروت. لبنان . 1965م. ص 60.

[1]0 ابن جني. الفسر الصغير (شرح ديوان المتنبي)، مخطوط بدار الكتب المصرية ، (أدب رقم 23). ص 248 ب.

[1]1 ابن النحاس أبو جعفر. شرح القصائد التسع المشهورات، تحقيق أحمد خطاب، بغداد. 1973م. ص 620.

[1]2 ابن الأنباري أبو بكر. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، القاهرة. 1969 م، ص 378.

[1]3 ابن النحاس. شرح القصائد التسع المشهورات، ص 726.

[1]4ابن النحاس. شرح القصائد التسع المشهورات، ص 651.

[1]5 الخوارزمي أبو عبد الله يوسف. مفاتيح العلوم، الكليّات الأزهرية، القاهرة، ط 2، 1401 هـ– 1981م، ص 99.

[1]6 البرك بفتح الباء الصدار. فإذا أدخلت عليه الهاء كسرت و قلت بركة. و الجؤجؤ عظام صدر الطائر، ارجع للرازي. الزينة في الكلمات الإسلامية،ج 2، ص 99.

[1]7 سورة القمر. الآية 13.

[1]8 الرّازي أبو حاتم. الزينة في الكلمات الإسلامية. ج 2. ص 99.

[1]9 ابن فارس أحمد. الصّاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها، ص 95–96.

[2]0 ابن الأنباري بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص 192،و ابن النحاس. شرح القصائد التسع المشهورات، ص 506.

[2]1 ابن الأنباري .شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، . ص 340–341.

[2]2 ابن الأنبَاري .شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص 128.

[2]3ابن النحاس . شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص 712.

[2]4 الخوارزمي محمد. مفاتيح العلوم، ص 135–136.

[25] الاصطرلاب: آلة عربية قديمة تستخدم لأغراض فلكية تحدد بوساطتها مواقع النجوم، و خطوط العرض، و استفاد منها البحارة في رحلاتهم، و هي صفيحة على شكل دائرة عليها أجزاء أخرى و إشارات اصطلاحية فلكية، و لها حجوم متعدّدة.

ارجع ل: الخوارزمي. مفاتيح العلوم. ص 134–135.

[26] الخوارزمي. مفاتيح العلوم. ص 93–94.

[27] الخوارزمي.مفاتيح العلوم. ص 94.

[28] المصدر نفسه. ص 58.

[29] البغدادي بن ناقيا. الجمان في تشبيهات القرآن، تحقيق. د. محمد رضوان الداية ود. عدنان زرزور، وزارة الأوقاف بالكويت، 1387 هـ– 1968م، ص 156.

[30] سورة النبأ. الآية 7.

[31] الخوارزمي. مفاتيح العلوم. ص 3.

[32] سورة النبأ. الآية 7.

[33] ابن الأنباري . شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص 111.

[34] ابن الأنباري. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص 414.

[35] ابن منظور. لسان العرب،ج 1، ص 227.

[36] ابن منظور. لسان العرب، ج 1، ص 303.

[37] ابن منظور. لسان العرب، ج 1، ص 307.

38ابن منظور. لسان العرب، ج 1، ص 484.

[39] ابن منظور. لسان العرب، ج 2، ص 81.

[40] ابن منظور. لسان العرب، ج 2، ص 254.

[41] ابن منظور. لسان العرب، ج 2، ص 228.

[42] ابن منظور. لسان العرب، ج 2، ص 306.

[43] ابن منظور. لسان العرب، ج 2، ص 313.

[44] المصدر نفسه، ج 2، ص 329.

[45] ابن منظور. لسان العرب، ج 2، ص 364.

[46] المصدر نفسه، ج 2، ص 470.

[47] ابن منظور. لسان العرب، ج 3، ص 178.

[48] المصدر نفسه، ج 3، ص 205.

[49] المصدر نفسه، ج 3، ص 225.

[50] المصدر نفسه، ج 3، ص 230.

[51] المصدر نفسه، ج 3، ص 311.

[52] ابن منظور. لسان العرب، ج 3، ص 330.

[53] المصدر نفسه، ج 3، ص 498.

[54] المصدر نفسه، ج 4، ص 62.

[55] المصدر نفسه، ج 4، ص 204.

[56] المصدر نفسه، ج 4، ص 352.

[57] ابن منظور. لسان العرب، ج 5، ص 137.

[58] المصدر نفسه، ج 6، ص 65.

[59] المصدر نفسه، ج 6، ص 70.

[60] المصدر نفسه، ج 8، ص 35.

[61] ابن منظور. لسان العرب، ج 6 ، ص 212.

[62] المصدر نفسه. ج 9. ص 175.

[63] المصدر السابق. ج 10. ص 82.

[64] المصدر السابق. ج 11. ص 22.

[65] السيوطي جلال الدين.المزهر في علوم اللّغة وأنواعها،دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، بدون تاريخ،ج 2، ص308 438.

[66] الميداني. مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين، مطبعة السنة المحمدية، 1373 هـ- 1955م، (جزءان)، ج 1، ص 177.

[67] الميداني. مجمع الأمثال. ج 1. ص 200.

[68] الميداني. مجمع الأمثال. ج 2. ص 189.

[69] ابن فارس. الصاحبي. ص 26.